

المحاضرة الثامنة

المناهج السياقية ومرجعياتها في النقد الجزائري

أولاً: المنهج التاريخي:

تعود بدايات هذا المنهج في الوطن العربي مع نهايات الربع الأول من القرن العشرين مع طه حسين من خلال محاولاته لتطبيق مقولات تين الثلاثية على بعض النماذج كالممتنبي والمعري، في حين انشغل أحمد ضيف، محمد مندور باللانسونية حتى أصبح محمد مندور أول من أرسى معالمها في وطننا العربي.

يعتبر النقد التاريخي بمثابة البوابة المنهجية الأولى التي فتح عليها الخطاب النقدي الجزائري عينه مع بداية الستينيات من القرن الماضي، حيث ظهر سنة 1961 أول كتاب في النقد التاريخي للدكتور أبو القاسم سعد الله عن الشاعر محمد العيد آل خليفة تلتته رسائل ودراسات أخرى في هذا المنهج لعبد الله الركيبي، صالح خرفي، عبد المالك مرتاض ومحمد ناصر وغيرهم.

1- أبو القاسم سعد الله:

ظهر كتابه بعنوان "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث" في طبعته الأولى سنة 1961 عن دار المعارف بالقاهرة، أما طبعته الثالثة التي صدرت سنة 1984 فكان عنوانها "شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة". ويعتبر تاريخ صدوره هو التاريخ الرسمي لظهور المنهج التاريخي في النقد الجزائري، غير أن هذا لا يلغي مجموعة من الجهود التي قام بها أبو القاسم سعد الله قبل هذا التاريخ قام بنشرها في دوريات عربية أو صحف جزائرية، عمل لاحقاً على جمعها

لنشرها في كتابه "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" كما نشر بعضها في كتابه "تجارب في الأدب والرحلة". قسم سعدالله كتابه عن محمد العيد إلى ثلاثة أقسام يتجلى من خلالها نهجه التاريخي:

القسم الأول تعرض لحياته في ثلاث فصول (البيئة، النشأة والثقافة، آراءه وتجاربه).

القسم الثاني تناول شعره عبر تسع فصول (بين عهدين، الشعر الاجتماعي، الشعر السياسي، الشعر الذاتي، شعر المجاملات، الحياة العربية في شعره، آسيا وأفريقيا في شعره، خصائص شعره، منزلته).

القسم الثالث أثبت فيه الكثير من قصائد محمد العيد خاصة أنها لم تكن منشورة في ديوان شعري.

2-الدكتور عبد الله الركيبي:

وقد مارس النقد التاريخي على اعتبار أنه اختيار منهجي قد يقبل البديل على خلاف أبي القاسم سعدالله الذي لم يحد عن النقد التاريخي، أنجز الركيبي دراسته (القصة الجزائرية القصيرة التي أعدها سنة 1967 لنيل شهادة الماجستير من جامعة القاهرة، ثم قدم أطروحته للدكتوراه بعنوان "الشعر الديني الجزائري الحديث"، كما قدم كتابه "تطور النثر الجزائري الحديث" الذي لا يختلف عن منهج الكتب السابقة وهو منهج النقد والتحليل والاستعانة بالتاريخ.

3-الدكتور محمد ناصر:

اهتم في مجمل أعماله بدراسة الأدب الجزائري قبل الاستقلال حيث خصص من خلال دراسته التاريخية لعدد من الشخصيات منها: "الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي"، "الشيخ البشير الإبراهيمي ونثره الفني"، "محمد علي دبوز والمنهج

الإسلامي لكتابة التاريخ"، "عمر راسم المصلح الثائر"، "الشيخ إبراهيم بيوض مصلحا وزعيما"، "أبو اليقظان وجهاد الكلمة"، "مفدي زكريا شاعر النضال والثورة"، "رمضان حمود حياته وآثاره". كما أرخ للصحافة العربية الجزائرية من خلال كتاب "المقالة الصحفية الجزائرية"، وكتاب "الكتابة الصحفية الجزائرية من 1847 الى 1954".

أما كتاب "الشعر الجزائري الحديث" الذي نال عنه شهادة الدكتوراه فيقول عنه يوسف وغليسي يعتبر "نموذجا من أرقى مستويات التعامل التاريخي مع الظاهرة الأدبية، فرغم استعانتة ببعض المعطيات المنهجية الأخرى (الاجتماعية، الإحصائية، الإسلامية ...) التي تهيمن عليها الرؤية التاريخية في تفسير الظاهرة الفنية، إلا أنه لا يخضع هذا لذاك قسرا، بل يستعين به حيث (وفقط حيث) يقتضي الامر ذلك.

4-الدكتور صالح خرفي:

قدم مجموعة من الجهود الأكاديمية وهي رسالته للماجستير بالقاهرة سنة 1966 بعنوان "شعر المقاومة الجزائرية" ثم أطروحته للدكتوراه سنة 1970 بعنوان "الشعر الجزائري الحديث"، وجهود أخرى حرة منها دراسات تحاول إبراز بعض أقطاب الحركة الأدبية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي بدأها بـ "شعراء من الجزائر" أتبعها بـ "المدخل الى الأدب الجزائري الحديث" ثم "سلسلة في الأدب الجزائري الحديث" تناول فيها أربع شخصيات أدبية: عمر بن قدور، رمضان حمود، محمد السعيد الزاهري ومحمد العيد آل خليفة، عمل فيها على إثبات نصوصهم النادرة أو المفقودة مع مسح شامل لحياتهم والبيئة التي عاشوا فيها.

وقد بقي محافظا على نهجه النقدي حتى في كتابه "أحمد رضا حوحو في الحجاز" الذي أرخ فيه لحياته وأثبت نصوصه.

كما يمكن الإشارة أيضا إلى جهود الدكتور عبدالله حمادي التي تقترب في بعض الاحيان من التاريخ، وتاريخ الأدب مبتعدة عن النقد الأدبي كما في كتابه "الشعر الاسباني المعاصر" وكذا كتابه "دراسات في الأدب المغربي القديم"، وإلى الأستاذ يحيى الشيخ صالح في كتابه "شعر الثورة عند مفدي زكريا" والأستاذ الوناس شعباني في كتاب "تطور الشعر الجزائري منذ 1945 حتى سنة 1980"، دون أن ننسى جهود الناقد عبد المالك مرتاض الأولى التي انتهج فيها النقد التاريخي في كتاب "فنون النثر الأدبي في الجزائر" وكتاب "نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر" وكتاب "فن المقامات في الأدب العربي".

أما ما وجه لهذا النقد من ملاحظات فنذكر:

- استجابت له نوعية خاصة من النصوص وهي التي كتبت أثناء الاحتلال الفرنسي لأنها كانت تعكس وبطريقة مرآوية مرحلتها التاريخية، لكن ذلك لم يتحقق مع نوعيات أخرى.

- اهتم بدراسة مدونات أدبية لما امتدادها التاريخي الواسع وركز على تقسيمها زمنيا وتاريخيا، وقد كان يركز على النماذج التي تجسد أكبر تمثيل للمرحلة الزمنية المدروسة، في حين هناك نماذج أخرى قد يهملها وهذا ما أدى حسب وجهة نظر يوسف وغليسي إلى اشتهاار شاعر مثل مفدي زكريا وبقاء شاعر آخر مثل مبارك جلواح مغمورا.

التركيز على مضمون النص وسياقاته مع تغييب الخصوصيات الفنية تغييبا مختلف من ناقد إلى آخر

- تحويل النص الأدبي إلى مجرد وثيقة يستعين بها الباحث متى احتاجها لتأكيد بعض الأفكار والحقائق التاريخية.

مراجع الدرس:

-يوسف وغليسي، النقد الجزائري من اللانسونية إلى الالسنية.

-يوسف وغليسي، النقد الادبي

-محمد مصايف، النشر الجزائري الحديث.